الكبير. فوضع الدكتور اوربينو نظارته ذات القوس والاطار الذهبي على عينيه، ونظر الى ساعة السلسلة، المربعة الرقيقة، التي يفتح غطاؤها بنابض، انه يوشك ان يتخلف عن موعد صلاة العنصرة.

كان في الصالة آلة تصوير ضخمة على عجلات كتلك التي في الحدائق العامة، وستارة عليها رسم يمثل منظر شفق بحري، وكانت الجدران مغطاة بصور اطفال عليها تواريخ تذكارية: ذكرى المشاركة الاولى، التنكر بقناع ارنب، عيد الميلاد السعيد، لقد رأى الدكتور اوربينو هذه الجدران وهي تتغطى تدريجيا، سنة بعد اخرى، اثناء تأمله المتروي في امسيات الشطرنج، وكان قد فكر في احيان كثيرة، مع اختلاجة كآبة، بأن في معرض صور المصادفة هذا توجد نواة مدينة المستقبل، التي ستساس وتفسد على يد هؤلاء الاطفال المجهولين، والتي لن يبقى فيها حتى رماد مجده.

على طاولة العمل، الى جانب علبة فيها عدة غلايين محفور عليها رسوم ذئاب بحر، كانت رقعة الشطرنج وعليها دور غير مكتمل. ورغم تعجله واكتئابه، لم يستطع الدكتور اوربينو مقاومة اغراء دراستها. كان يعلم انها لعبة الليلة الماضية، فقد كان جيرميا دي سانت ـ آمور يلعب مساء كل يوم من ايام الاسبوع، ومع ثلاثة خصوم مختلفين على الاقل، لكنه كان يصل دائما الى نهاية اللعب ثم يضع الرقعة مع الاحجار في علبتها، ويضع العلبة في احد ادراج المكتب. وكان يلعب بالاحجار البيضاء دوما، ولم يكن هنالك من شك في انه كان سيخسر تلك اللعبة بعد اربع حركات اخرى دون مفر. وقال لنفسه: «لو كان ثمة جريمة، لكان هذا دليلا جيدا. فأنا لا اعرف سوى شخص واحد قادر على نصب مثل هذا الكمية المتقن». ما كان بمقدوره العيش دون ان يبحث فيما بعد عن السبب الذي جعل ذلك الجندي الجامح، المعتاد على الصراع حتى اخر قطرة دم، يتخلى عن المعركة الاخيرة في حياته دون حسمها.

في الساعة السادسة صباحا، وفيما الحارس الليلي يقوم بجولته الاخيرة، رأى الورقة المثبتة على الباب الخارجي: ادخل دون طرق الباب واتصل بالشرطة. بعد ذلك بقليل هرع مفوض الشرطة مع طالب الطب المتمرن، وقاما كلاهما بتفتيش البيت بحثا عن دليل ضد رائحة اللوز المر التي لا يمكن اخفاؤها. واثناء الدقائق القليلة التي استغرقتها دراسة دور الشطرنج غير المنتهي، اكتشف المفوض بين الاوراق التي على المكتب مغلفا موجها الى الدكتور خوفيال اوربينو، مختوما بعدة اختام من الشمع الاحمر، مما جعل تمزيقه ضروريا لاخراج الرسالة منه. ازاح الطبيب الستارة السوداء عن النافذة ليحصل على انارة افضل، ثم القى اول الامر نظرة سريعة على الاحدى عشرة ورقة المكتوبة بخط انيق على الوجهين،